King Faisal
PRIZE

الأدب العربي باللغة الفرنسية

المشروع العلمي للباحث الفرنسي
البروفيسور/ بيير لارشيه Pierre Larcher

مقدّمة

يعد البروفيسور **بيير لارشيه *Pierre Larcher***، من أبرز الأعلام المعاصرين في حقل الدراسات اللغوية العربية والترجمة إلى الفرنسية، ومن بين الشخصيات العلمية التي أسهمت إسهاماً حاسماً في تعميق المقاربة اللسانية للغة العربية الفصحى والمدارس اللغوية الحديثة؛ فلقد عمل على **مشروع علمي** اتسم بصلابة المنهج، واتساع الأفق النظري، وتمكن من الجمع بين التحليل الدقيق للنصوص التراثية واستثمار الأدوات البحثية للسانيات المعاصرة.

وتنبع الأهمية الخاصة لإسهامات البروفيسور بيير لارشيه من كونه لم يقارب التراث النحوي العربي من زاوية وصفية أو فيلولوجية محضة، كما درجت عليه بعض "**الدراسات الاستشراقية التقليدية**"، بل تعامل معه بوصفه منظومة معرفية متكاملة، تتضمن في بنيتها الداخلية تصورات نظرية دقيقة حول طبيعة اللغة العربية وآليات انتظامها التركيبي والدلالي. ومن خلال هذا المنظور التحليلي، سعى إلى إعادة قراءة المفاهيم المركزية في النحو العربي؛ مثل الإسناد، والعامل، والبنية التركيبية للجملة؛ قراءةً علمية تُبرز طابعها النظري وإمكاناتها التفسيرية، في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث. وقد أتاح هذا التوجه المنهجي الكشف عن العمق الفكري الذي ينطوي عليه التراث اللغوي العربي، وإعادة تقديمه ضمن أفق معرفي أوسع يتجاوز حدود الدراسات التاريخية أو الوصفية. فبدلاً من التعامل مع النحو العربي بوصفه تراثاً مغلقاً ينتمي إلى سياقه التاريخي فحسب، عمل البروفيسور بيير لارشيه على إظهاره باعتباره منظومة تحليلية قابلة للحوار مع النظريات اللسانية المعاصرة، وقادرة على الإسهام في النقاشات النظرية الكبرى حول بنية اللغة وطبيعة التنظيم النحوي.

ومن خلال هذه المقاربة، أسهمت، أعمال البروفيسور بيير لارشيه، في توسيع أفق الدراسات العربية داخل الحقل اللساني العالمي، حيث أظهرت أن اللغة العربية الفصحى، بما تحمله من بنية تركيبية ودلالية متمايزة، تمثل مجالاً خصباً للإسهام في تطوير النظرية اللغوية الحديثة. وقد مكّن هذا التوجه من إدراج العربية ضمن النقاشات اللسانية المقارنة، ليس بوصفها موضوعاً وصفياً فحسب، بل بوصفها مصدراً لإنتاج المعرفة اللسانية ذاتها.

وبهذا المعنى، يمكن إدراج إسهامات، البروفيسور بيير لارشيه، ضمن ما يُعرف في الأدبيات المعاصرة بـ «**الاستشراق اللغوي الجديد**»، وهو اتجاه علمي يتجاوز المقاربات الكلاسيكية التي انصرفت أساساً إلى تحليل النصوص أو دراسة المضامين الثقافية، لينتقل إلى تحليل البنية اللغوية ذاتها بوصفها موضوعاً مركزياً للبحث العلمي. وفي هذا السياق، أسهمت أعماله في إعادة توجيه بوصلة البحث نحو دراسة العربية الفصحى باعتبارها نظاماً لغوياً معقداً وغنياً، يمتلك من الخصائص البنيوية والنظرية ما يجعله شريكاً فاعلاً في تشكيل الفكر اللساني المعاصر.

ومن أبرز ما يميز إنتاج البروفيسور بيير لارشيه، العلمي، منهجيته الدقيقة في تحليل النصوص اللغوية، فلقد جمعت دراساته اللغوية بين التحليل اللغوي الصارم والوعي التاريخي بسياقات تطور اللغة العربية. وقد ساعد هذا المنهاج في تقديم قراءات جديدة لعدد من الظواهر النحوية والبلاغية في العربية، مما جعل أعماله مرجعاً مهماً للباحثين في الدراسات اللغوية واللسانيات العربية.

لقد شهدت الدراسات اللغوية العربية في العقود الأخيرة تحولات معرفية مهمة نتيجة التفاعل المتزايد بين التراث اللغوي العربي والاتجاهات الحديثة في علم اللسانيات. ففي الوقت الذي كانت فيه الدراسات الاستشراقية الكلاسيكية تنظر إلى اللغة العربية بوصفها موضوعاً للدراسة التاريخية أو الفيلولوجية، بدأت تظهر اتجاهات جديدة تسعى إلى تحليلها بوصفها نظاماً لغوياً متكاملاً يمكن دراسته باستخدام أدوات التحليل اللساني المعاصر. وفي هذا السياق برزت إسهامات الباحث الفرنسي البروفيسور بيير لارشيه، والذي عمل على إدماج الدراسات العربية داخل الإطار النظري للغويات واللسانيات الحديثة، مع الحفاظ في الوقت نفسه على فهم عميق للتراث اللغوي العربي وسياقه التاريخي والفكري.

إن أحد أبرز الجوانب التي تميز **المشروع العلمي** للبروفيسور بيير لارشيه، يتمثل في محاولته تجاوز القراءة التقليدية للنحو العربي التي كانت تركز في الغالب على الجانب الوصفي للقواعد اللغوية؛ ففي تحليله للنصوص النحوية العربية، يسعى إلى الكشف عن البنية النظرية التي يقوم عليها هذا التراث العلمي، مبيناً أن النحو العربي لا يقتصر على كونه مجموعة من القواعد التي تهدف إلى تقنين الاستعمال اللغوي، بل يمثل منظومة تحليلية متكاملة تتضمن تصوراً نظرياً لطبيعة اللغة والعلاقات التي تربط بين عناصرها المختلفة.

كما أولى اهتماماً خاصاً بدراسة بنية الجملة العربية، حيث سعى إلى تحليل العلاقات التركيبية والدلالية التي تربط بين مكوناتها المختلفة. وقد بيّن أن الجملة العربية تتميز بدرجة عالية من المرونة التركيبية التي تسمح بتعدد أنماط التعبير داخل الخطاب. ويظهر ذلك بوضوح في التفاعل بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وهو تفاعل يعكس طبيعة النظام اللغوي للعربية وقدرته على التعبير عن المعاني المختلفة من خلال تنوع البنى النحوية.

دراسة الشعر الجاهليّ وترجمته

إلى جانب اهتمامه بالنحو العربي، أولى لارشيه اهتماماً كبيراً بدراسة النصوص الأدبية العربية القديمة، وخاصة الشعر الجاهلي، الذي يمثل أحد أهم المصادر اللغوية لفهم طبيعة اللغة العربية قبل الإسلام. وقد ركز في هذا المجال على تحليل وترجمة قصائد المعلقات *Mu'allaqat* ، التي تعد من أبرز النصوص الشعرية في التراث العربي القديم، ما قبل الإسلام. وتمثل هذه القصائد نموذجاً مثالياً لدراسة الخصائص اللغوية والأسلوبية للعربية في مرحلة مبكرة من تاريخها، إذ تكشف عن قدرة اللغة العربية على التعبير عن المعاني الدقيقة والصور البلاغية المركبة.

ومن خلال دراساته للشعر الجاهلي سعى لارشيه إلى الكشف عن البنية اللغوية للقصيدة العربية القديمة، موضحاً أن هذه القصيدة لا تقوم على مجرد تراكم من الصور البلاغية، بل تتضمن نظاماً أسلوبياً متكاملاً يقوم على تفاعل عناصر متعددة مثل الإيقاع والصورة الشعرية والبنية السردية للقصيدة. ويتيح هذا التحليل فهماً أعمق للطبيعة الجمالية للشعر الجاهلي، كما يساعد في إبراز الدور الذي لعبه هذا الشعر في تشكيل اللغة الأدبية العربية.

وقد ارتبط اهتمامه بالشعر الجاهلي أيضاً بجهوده في ترجمة هذا الشعر إلى اللغة الفرنسية، حيث سعى إلى نقل هذا التراث الأدبي إلى القارئ الفرانكوفوني ضمن إطار علمي يحافظ على خصوصيته اللغوية والجمالية. وتُعد ترجماته للمعلقات من أبرز الأعمال التي أنجزها في هذا المجال، إذ تمثل محاولة لإعادة تقديم الشعر العربي القديم داخل الفضاء الثقافي الأوروبي بطريقة تراعي التعقيد اللغوي والأسلوبي للنص الأصلي.

إن ترجمة الشعر الجاهلي تمثل تحدياً كبيراً للمترجمين، نظراً لما يتضمنه هذا الشعر من صور بلاغية مركبة وإيقاع لغوي خاص يرتبط ببنية اللغة العربية. وقد كان لارشيه واعياً بهذه الصعوبات، ولذلك اعتمد في ترجماته منهجاً يجمع بين الدقة اللغوية والتحليل الفيلولوجي للنصوص. فهو لا يكتفي بنقل المعنى الحرفي للأبيات الشعرية، بل يسعى إلى إعادة

بناء المعنى داخل اللغة الهدف بطريقة تسمح للقارئ بفهم الأبعاد الجمالية للنص؛ تاركاً بصمته بصفته مترجمًا محترفًا مدركاً للأبعاد والسياقات التاريخية والثقافية وساعياً إلى نقلها بأمانة إلى المتلقي الفرنسي.

وفي هذا السياق يمكن القول إن ترجمات لارشيه لا تمثل مجرد نقل لغوي للنصوص الشعرية، بل تشكل أيضاً عملاً تفسيرياً يسعى إلى الكشف عن البنية العميقة للقصيدة الجاهلية. فهو يحرص على توضيح الإشارات الثقافية والرمزية التي تتضمنها القصيدة، كما يقدم شروحاً لغوية تساعد القارئ على فهم الدلالات المختلفة للكلمات والتراكيب.

كما تميزت منهاجيته في الترجمة بالاهتمام بالبنية الأسلوبية للنص الشعري، إذ يسعى إلى نقل الإيقاع الداخلي للقصيدة قدر الإمكان داخل اللغة الفرنسية، مع الحفاظ على المعنى الأصلي للأبيات؛ وأدى هذا التوجه إلى تقديم ترجمات تتميز بدرجة عالية من الدقة العلمية والشمولية وذات تأثير فاعل على المتلقي لهذا النص الإبداعي الجديد، ومتطابقة في معانيها مع النص الأصلي، ومحققاُ، وبكل تأكيد، المتعة للمتلقي، الأمر الذي جعلها تحظى باهتمام الباحثين في مجال الدراسات العربية والأدب المقارن.

دراسة النصّ القرآنيّ

أولى البروفيسور لارشيه، إلى جانب اهتمامه بالشعر الجاهلي وترجمته، اهتماماً كبيراً بدراسة النص القرآني بوصفه ظاهرة لغوية مفصلية في تاريخ العربية. ففي هذا السياق ينطلق من فرضية مفادها أن القرآن لا يمكن فهمه فهماً علمياً دقيقاً إلا من خلال دراسة بنيته اللغوية في إطار التطور التاريخي للغة العربية. ويرى أن القرآن لم يأت بلغة منفصلة عن السياق اللغوي الذي سبق ظهوره، بل استخدم اللغة المشتركة التي كانت متداولة في البيئة الشعرية العربية.

غير أن النص القرآني، وفق تحليله، أعاد تشكيل هذه اللغة داخل نظام أسلوبي وبلاغي فريد، يتميز بدرجة عالية من الكثافة التعبيرية والتركيب اللغوي المعقد. ومن خلال دراسة هذه الخصائص سعى لارشيه إلى فهم الدور الذي اضطلع به القرآن في تثبيت عدد من الخصائص الأساسية للعربية الفصحى؛ وكشف هذا التحليل عن تحول مهم في طريقة تعامل الدراسات الغربية مع النص القرآني، إذ انتقلت من السجالات اللاهوتية التقليدية إلى دراسة النص بوصفه ظاهرة لغوية وتاريخية في آن واحد. وقد أسهمت هذه المقاربة في فتح آفاق جديدة أمام الدراسات القرآنية داخل اللسانيات المعاصرة.

وفي هذا الإطار، يرفض لارشيه التصوّر الذي يعزل لغة القرآن الكريم عن محيطها التداولي السابق، مؤكداً أنّ النصّ القرآني قد استند إلى رصيد لغوي مشترك كان متداولًا في البيئة العربية، ولا سيّما في الشعر الجاهلي الذي يمثّل، في نظره، مخزوناً أساسياً لفهم أنماط التعبير وأساليب القول في تلك المرحلة.

غير أنّه يبرز، في المقابل، أنّ القرآن لم يكتفِ بتوظيف هذه اللغة، بل أعاد تنظيمها ضمن نسق أسلوبي خاص (إعجاز)، متميزاً بدرجة عالية من الإحكام البلاغي والتكثيف الدلالي، فضلًا عن تعقيد تركيبي يفتح المجال أمام تعدّد مستويات القراءة والتأويل.

ومن خلال تحليل هذه السمات، يسعى لارشيه إلى إبراز الدور الحاسم الذي اضطلع به النصّ القرآني في ترسيخ جملة من الخصائص المعيارية للغة العربية الفصحى، سواء على مستوى البنية النحوية أو النظام الدلالي أو حتى فيما يتعلّق بتقنين الاستعمال اللغوي وتثبيت معاييره. وبذلك، يغدو القرآن الكريم، في تصوّره، ليس مجرّد نصّ ديني، بل أيضًا مرجعاً لغوياً أساسياً - إعجازياً- أسهم في توجيه مسار اللغة العربية وتوحيد أنساقها التعبيرية.

خاتمه

تأثير أعمال البروفيسور بيير لارشيه، لا يقتصر على المجال الأكاديمي الفرنسي، بل امتدت إلى المجتمع العلمي الدولي، حيث أصبحت دراساته مرجعاً مهماً للباحثين في مجالات اللسانيات العربية والدراسات السامية وتحليل النصوص الكلاسيكية والترجمة. كما أسهمت مشاركاته في المؤتمرات العلمية والندوات الدولية في تعزيز الحوار العلمي بين الباحثين من مختلف التقاليد اللغوية.

وإن قراءة **المشروع العلمي** للباحث الفرنسي *Pierre Larcher* تكشف عن نموذج متميز للبحث الأكاديمي الذي يجمع بين العمق العلمي والانفتاح المعرفي. فقد استطاع من خلال أعماله أن يعيد تقديم التراث اللغوي العربي بوصفه منظومة فكرية متكاملة، وأن يبرز أهميته داخل تاريخ الفكر اللغوي العالمي.

كما أسهمت دراساته في تعريف القارئ الغربي والمتحدث باللغة الفرنسية على وجه الخصوص بالثراء اللغوي والأدبي للثقافة العربية، سواء من خلال تحليله للنصوص النحوية أو من خلال ترجماته للشعر الجاهلي. وبذلك يمكن القول

إن مشروعه العلمي يمثل إضافة نوعية إلى المعرفة الإنسانية في مجال الدراسات اللغوية المقارنة، كما يشكل مثالاً على إمكانية الحوار المثمر بين الثقافات والتقاليد العلمية المختلفة.

وتكمن الأهمية الكبرى لإسهامات البروفيسور لارشيه في كونها تتجاوز حدود البحث المتخصص لتلامس قضايا أوسع تتعلق بتاريخ الفكر اللغوي الإنساني. فقد أظهرت أعماله أن التراث اللغوي العربي يمثل جزءاً أساسياً من التراث الفكري العالمي، وأن دراسته يمكن أن تسهم في تطوير النظريات اللغوية المعاصرة. ومن هذا المنطلق، فإن إنجازاته العلمية لا تمثل إسهاماً في حقل الدراسات العربية فحسب، بل تشكل إضافة نوعية إلى المعرفة الإنسانية في مجال العلوم اللغوية؛ وأصبحت أعماله مرجعاً مهما للباحثين في مجالات:

- ❖ اللسانيات العربية والدراسات السامية.
- ❖ تحليل ودراسة النصوص الأدبية العربية الفصحى.
- ❖ تاريخ الفكر اللغوي العربي وترجمته إلى الفرنسية.

إلى جانب إنتاجه العلمي الغزير، أسهم البروفيسور بيير لارشيه، في تكوين أجيال من الباحثين المتخصصين في الدراسات العربية واللسانية. فقد أشرف على عدد كبير من الرسائل الجامعية، وأسهم في تطوير البرامج الأكاديمية المتعلقة باللسانيات العربية في الجامعات الأوروبية. وقد مكّن هذا الدور الأكاديمي من نقل المعرفة العلمية إلى أجيال جديدة من الباحثين، وأسهم في تعزيز استمرارية البحث العلمي في مجال الدراسات العربية.

ختاماً، إن المسيرة العلمية للبروفيسور بيير لاشيه تمثل نموذجاً رفيعاً للبحث العلمي الأكاديمي الرصين الذي يجمع بين العمق العلمي والانفتاح المعرفي، والإيمان بمفهوم المشروع العلمي الذي يكرس الباحث حياته من أجله.

وبناءً على ما قدّمه من إسهامات علمية رائدة، وتأثيره الواضح في تطوير البحث اللغوي، فإن فوزه بجائزة الملك الفيصل يُعد تقديراً مستحقاً لمسيرة علمية متميزة، ولجهوده في خدمة المعرفة الإنسانية وتعزيز الحوار العلمي بين الثقافات.

المراجع

- Pierre Larcher (2000). Les Mu'allaqat ou Les sept poèmes préislamiques, traduits de l'arabe, avec Introduction et notes; préface d'André Miquel, Éditions "Fata Morgana", 136 p.

- Larcher, Pierre (2003). "Le système verbal de l'arabe classique", Aix-en-Provence: Publications de l'Université de Povence, Collection Didactilangue, 194 p.

- Larcher, Pierre (2011). "Le poème en lâm d'Abû Kabîr al-Hudhalî. Introduction, traduction et notes", Arabica 58/3-4, pp. 198-209.

- Larcher, Pierre (2011). "The concept of peace and its expressions in Arabic", dans Ibn Warraq (ed) Which Koran? Variants, Manuscripts, and Linguistics, pp. 179-192, Prometheus Books, Amherst, [traduction anglaise de "Le concept de paix et ses expressions en arabe", Les Cahiers de la paix n° 8, pp. 95-105. Nancy: Presses Universitaires].

- Larcher, Pierre (2012). Le Système verbal de l'arabe classique, 2e édition revue et augmentée, Collection Manuels, Presses Universitaires de Provence, Aix-en-Provence, 188 p.

- Larcher, Pierre (2012). "Traduire les Mu'allaqât: histoire d'une tradition", Quaderni di Studi Arabi, nueva serie 5-6 (2010-2011), Arabic Poetry: Studies and Perspectives of Research, Guest Editor Geert Jan van Gelder, pp. 49-74.

- Larcher, Pierre (2012). "Langue et écriture arabes", Connaissance des arts, Hors-série n° 519 Musée de l'Institut du monde arabe, pp. 20-23, 2012.

- Larcher, Pierre (2013). "Le Coran: l'écrit, le lu, le récité", dans Le Coran. Nouvelles Approches, sous la direction de Mehdi Azaiez, avec la collaboration de Sabrina Mervin, p. 243-255. Paris: CNRS Editions.

- Larcher, Pierre (2013). "Arabic Linguistic Tradition II. Pragmatics", dans Jonathan Owens (ed) The Oxford Handbook of Arabic Linguistics, ch. 8, pp. 185-212. Oxford University Press.

- Larcher, Pierre (2018). "La langue du Coran: Quelle influence sur la grammaire arabe ?". Dans Aziza Boucherit, Héba Machhour et Malak Rouchdy (éds) Mélanges offerts à Madiha Doss. La linguistique comme engagement, Collection RAPH 42, pp. 91-108. Le Caire: IFAO [version écrite de la conférence faite à l'IISMM-EHESS, Paris, 16 Janvier 2014].

- Larcher, Pierre (2021). "Arabic *ishtiqāq*: derivation and / or etymology or neither?", *Al-Karmil, Studies in Arabic Language and Literature* 42, pp. 218-222.